أقَــرِّي صِغـار الطّير

آخر قصيدة كتبها الشاعر الكبير علي عبدالله خليفة قبل رحيله في حب البحرين خلال فترة العدوان الإيراني على المملكة وخص بها «أخبار الخليج».

فارِدْ جَناح العَــزم
يَا كبيرٍ عَـلى الرّيح
مِـــنْ وِينْ مَا هَـبَّتْ
يَا وَطَـنْ، يَا اللّي فُـوق الـشّـدايـدْ،
دُوم عَـــالي، ومِـتْـعَـلّي،
مَا هي جـديدة ظُرُوف الحَـرْب والـتَّـهْـديـدْ،
حَـرْبك عَـلى العِـدا، وخِسّة الأنْـذال، مَا وَنَّتْ،
وَلا انْـتَ عَـنْها مِـتْخلّي.

■■■

نـقْـرا صَحَايِـفْ مَجْدِ تاريْخِـكْ . .
حَـتّى نـتْأَمَّـلْ،
حَتّى الـزّمَنْ يَـعْـطِي كِـلّ مَا عِـنْـدَه،
وَلا يْـخَـلّي،
وشْهالحَـرب هَـذي اللّي انْـتَ تُواجهـها؟!
حَـرْبك أَبَـدْ .. دُومْ، وطـول الـوَقْـت، مَا وَنَّـتْ
في كلّ يوم يَـكْـتـب التّاريخ لَـكْ مَوقـفْ:
صَـريح، وَاضِح، مَكْـشُوف، ولا يـونّي،
صَامدْ، وعَـزْم الأهَـلْ يا كَـبـيـر، في وُجُـوه
العِـــدا، دَايِـــمْ عَـلى الظَّنّ.

■■■

أَقْـرا، وَقَـرّي صِغَار الطّيرْ،
باللّي رسَخْ عَـبْـر الزَّمَنْ، وانْـكـتَبْ عَـنّي
أَطْمَاع بلا حَـد، وجُور عَـلى جُورْ، مِـتْعَـنّي
يَـا وَطَنْ رُوحِي، أنا فِـدْوَةْ لـتْرابـكْ
عَـزيز، ودُوم رَايـتِـك في العِـزّ خَـفّـاقَـةْ
كِـلْ شَي قَـدَّره ربّي يصِيرْ،
عَـلى مَا يـريـد، سُـبْـحانه،
بِـالرّضَـى تَـسْـلِيمْ، خَلّه يصِيرْ
أنا ويّاكْ في عَاصِـفْ هِـيَاج الرّيح،
وفِي لُجّ بَحْـر الشّدايدْ، ولا نـونّي
صَحايِـفْ تَـاريخِـنا بِـيْـضا،
وعِـزُومـنا، إشْـتَاخِـذْ مِـنْها الـرّيـح، دَخِـيـلـكْ،
شالـذي تَخَلّي،
شَمْس الإرادةْ، بِـقُـوّة الـتَـنْـويـر، تِـجْـمَـعْـنا
إِفْـردْ جَـنَاح العَـزِمْ، يا كبيرِ..
حَلّـــقْ في الأعالي، وعِـيْـن الله تَحْرِسْـنا.

مملكة البحرين تودع شاعرها الكبير علي عبدالله خليفة

رحل الصديق والأديب علي عبدالله خليفة صاحب القلم الذي كان ينسـج من الفكر نورا، ورحل معه صـوتٌ كان يوقـظ المعاني من سـباتها، ومـن الكلمة حياة. لم يكن شـاعرًا فحسـب، بل كان روحًا عاشقة للجمال، وكاتبًا حمل همَّ المعرفة، وباحثًـا جعل من الحقيقة دربًا ومن السؤال رسالة، رحل شاعرنا الكبير بعد رحلة زاخرة بالعطـاء والإبداع في مجال الشعر والأدب والثقافة الشـعبية وأسهم من خلاله في رفد السـاحة الأدبيـة والفكرية في مملكـة البحرين وفي دول مجلـس التعاون لدول الخليج العربية بإنتاجه الأدبي والمعرفي والشـعري المميز حيث ان ديوانه الأول أنين الصواري الذي كان باكورة انتاجيه الشـعري الذي صدر عـام 1969م، كان له صدي ايجابي كبير في السـاحة الأدبية فـي البحرين وفي الخليج العربي ثم توالت دواوينه الشـعرية، عطش النخيل، اضـاءة لذاكرة الوطن وغيرها مـن الدواوين. لقد كان صاحب قلم أدبي جميل يشد القارئ له.

وكان رحمـه الله داعمـا كبيرا للنشـاط الثقافي فـي مملكة البحريـن، وللدلالة على ذلك أنه كان يقدم كل أنواع الدعم والمسـاندة لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية التي اتشـرف بأني أحد أعضاء مجلس ادارتها في كل ملتقياتها العلمية التي عقدت على أرض مملكة البحرين.

عرفناه كريم الخلق، واسـع الأفق، يزرع في المجالس فائـدة، وفي القلوب محبة، وفي العقـول أثرًا لا يـزول. كانت كلماته تسـبق حضوره أحيانًا، لكنها لم تكـن يومًا أبلغ من إنسانيته وتواضعه ونبله.

لقد غاب جسده، لكن قصائده وأبحاثه باقية تنبض بما أودعه فيها من صدق، وهي شاهدة على جهده وعطائه، وسـوف يكون أثره ممتدًا في دروب العلم والمعرفة. وما أعظم عزاءنا أن الإنسان يرحل، ويبقى ما قدَّمه للناس من خير وفكر وجمال.

رحل الشـاعرُ علي عبدالله خليفة، فرحلت معـه صفحةٌ مشـرقة من صفحـات الثقافة البحرينيـة والخليجية، وقامةٌ أدبيةٌ سـامقة كرّست عمرها للكلمة الجميلة والفكر المستنير وخدمة التراث والهوية.

لم يكن حضوره محصورًا في الشعر وحده، بل امتد إلى العمل الثقافي والمعرفي، فكان مثال المثقف الذي جمـع بين الإبداع والبحث، وبين الأصالة والانفتاح، وبين الوفاء لتراثه والسعي الدائم إلى آفاق جديدة من المعرفة والجمال.

كان الراحل الكبير صوتًا شـعريًا أصيلًا، حمل هموم الإنسان والوطن، وصاغ من تجربته الإبداعيـة قصائد بقيت حاضـرة في وجدان القرّاء، كمـا كان كاتبًا وباحثًـا أثرى المكتبة العربية بإسـهاماته الفكرية والثقافية، وأسهم في ترسيخ مكانة البحرين على خريطة الإبداع العربـي. واعترافا بما قدمـه للمكتبة العربية من ابداع في مجال الشـعر والأدب حصل على أوسمة من دول عربية ومن بلاده البحرين.

لم يكن حضوره محصورًا في الشعر وحده، بل امتد إلى العمل الثقافي والمعرفي، فكان مثال المثقف الذي جمـع بين الإبداع والبحث، وبين الأصالة والانفتاح، وبين الوفاء لتراثه والسعي الدائم إلى آفاق جديدة من المعرفة والجمال.

حبيب الوطن نم قرير العين، فقد تركت في القلوب مكانًا لا يُنسـى، وفي الذاكرة صفحاتٍ مضيئة، وفي الحياة أثرًا طيبًا سيظل يرافق من عرفوك وأحبوك.

برحيلـه تفقد مملكـة البحرين أحد أبرز رموزهـا الثقافيـة، وتفقـد منطقة الخليج العربي شاعرًا أسهم في تشكيل ملامح المشهد الأدبي الحديـث، وترك أثرًا سـيظل حيًا في قصائـده ومؤلفاته وفي ذاكـرة الأجيال التي نهلت من عطائه.

رحم الله علي عبدالله خليفة رحمة واسعة، وأسكنه فسـيح جناته، وألهم أسرته ومحبيه وتلامذته الصبر والسـلوان. وستبقى كلماته شـاهدة على حياة أفناها في خدمة الشـعر والثقافة والمعرفة، وسيظل اسمه حاضرًا بين أعلام الأدب الذين تجاوزوا حدود الوطن.

رحمك الله رحمة واسـعة، وأسكنك فسيح جناته، وجزى عطاءك خير الجزاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأستاذ الدكتور علي منصور آل شهاب
أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة البحرين سابقا

في رثاء الشاعر علي عبدالله خليفة

برحيل الشـاعر البحريني الأسـتاذ علي عبدالله خليفة يترجل عن المشـهد الثقافي والإبداعي البحريني والخليجي واحد من أهم الأسـماء الإبداعية وألمعها في مجال الشـعر العربي الحديث والشـعر الشعبي، وفي مجال الثقافة الشعبية البحرينية والخليجية والعربية برؤية تتسع لحدود العالم كله. ترأس الراحل المنظمة الدولية للفن الشـعبي (IOV) وكانت له اليد الطولى في تنظيم عشرات المؤتمرات والملتقيات التي تحتفي بثقافات الشـعوب على اختلافاتها وتنوعها بحثاً عن القواسم المشتركة التي تؤسس مساحات إنسانية للتسـامح والمشتركات الإنسانية، وهي مساحات عابرة للحدود والقارات، للأزمنة. في سنة 2007 عندما شرعت في مشـروع الجمع الميداني الجماعي للحكايات الشعبية البحرينية من خلال إشرافي على مائة طالب من طلبة جامعة البحرين، كان الأستاذ علي عبدالله خليفة يراقب عن كثب خطواتي في المشـروع، وبعد سبع سنوات اتصل بي هاتفياً وسـألني عن الجمع الميداني الـذي أجريه مع طلبتي، وأبدى حماسته الشـديدة واستعداد أرشـيف الثقافة الشعبية لتمويل المشروع كاملاً من خلال الشراكة اللوجستية مع جامعة البحرين. وعندما دُشن كتاب (الحكايات الشعبية البحرينية: ألف حكاية وحكاية) في عام 2019 أخبرني أنَّ ما قمتُ به مـع طلبتي كان في يوم ما حلما من أحلامه التي يود تحقيقها: أن تُجمع الحكايات الشعبية البحرَينية في كتاب يكون مرجعاً تأسيسـياً وذاكرة وطنية شفاهية تُدون. وشرفتُ مع الأستاذ علي عبدالله خليفة مع سعادة رئيس جامعة البحرين الأسبق الأستاذ الدكتور رياض حمزة بإهداء صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسـى آل خليفة ملك البلاد المعظم، حفظه الله ورعاه، الراعي الأول للتراث في البحرين، نسخة من الكتاب، وشرفتُ باحتفاء جلالته بالثقافة الشعبية البحرينية وإيمانه العميق بدورها في صناعة الذاكرة الوطنية البحرينية. كان الأستاذ علي عبدالله خليفة داعماً أساسياً لي ولزملائي وزميلاتي الذين لديهم اهتمامات بحثية في مجالات الثقافة الشعبية مع تطبيق المقاربات المنهجية عليها. وكان تواصله معي قبل أشهر قليلة من وفاته بحماسته المعهودة لتدشين الموقع الإلكتروني الخاص بالحكاية الشعبية البحرينية.

على مدى عقود تمثَّل شـغف علي عبدالله خليفة بالثقافة الشـعبية في دواوينه الشـعبية، وكذلك في كونه من مؤسسـي مجلة (المأثورات الشـعبية) ثم مجلة (الثقافة الشعبية). واستطاع علي عبدالله خليفة في عقود طويلة أن يشـكل شـبكات تواصل ثقافية ضخمة حقّقت شراكات عالمية مستدامة في مجال درس الثقافة الشـعبية العربية والخليجية. إنَّ الحديث عن الراحل يطول ويطـول، ولكنني أختزل وصفه بأنه رجل المشاريع المؤسسية في مجال الثقافة الشعبية، وصاحب أفكار ومبادرات طموحة وملهمة ومسـتدامة في مجال صون التراث الثقافي المادي وغير المادي. رحم الله الأستاذ علي عبدالله خليفة وأسكنه فسيح جناته، وألهم ذويه جميل الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

د. ضياء عبدالله الكعبي
عميدة كلية الآداب – جامعة البحرين

زاوية حرّة

التراث الشعبي.. فقد درعه

برحيل الشـاعر والباحث في التراث الشـعبي علي عبـدالله خليفـة.. فقدت البحرين قامة أدبية وثقافية كبيرة، ورمزا من رموز الشعر والثقافة الذين تركوا أثرا عميقا في الذاكـرة الوطنية والخليجية.. وقد صدمت شـخصيا عند سماعي خبر وفاتـه.. إذ كان وقـع الخبـر علينا في الجريدة مؤلما وصادما، وأدخل الحزن إلى قلوب الجميع. أحيانـا نعجز أمام بعض الأخبار عن إيجاد الكلمات المناسبة.. لأن الفقد يكون أكبر من أن يوصف.

تعرفت على الراحـل من خلال عملي في صحيفة أخبـار الخليج، وكانت بيننا علاقة مهنية جميلة تركت في نفسـي أثرا لا ينسـى.. لم يكن مجرد شـاعر يرسل نصوصه للنشـر.. بل كان إنسانا يحمل احتراما كبيرا للكلمـة ولمن يعمل خلف الكواليس أيضا.. كان يتصل دائما ليتأكد: هـل وصلت المـادة؟ وفـي أي صفحة ستنشر؟ هذا الحرص لم يكن بدافع القلق.. بل بدافع الحب الحقيقي لما يكتب.

وأتذكر حين كان ينشـر شـعره في الصفحة الأخيرة.. وكنت أنا المسـؤول عن الإخراج الفني.. وكان يتصل بي قائلا: "ها بوعلي، استلمت القصيدة؟" ثم يسأل عن الترويسة الخاصة بالنشر.. تفاصيل صغيرة في ظاهرها.. لكنها اليوم تحولت إلى ذكريات ثمينة..

كان دائما يرسـل لي مجلـة "الثقافة الشـعبية".. وكانت موضوعاتها مميزة وتوثق التراث الشعبي وكل ما يتعلق به.

مـا ميز علي عبـدالله خليفة أنه كتب للناس لا للنخبة فقط.. كان شعره بسيطا في لغته، عميقا في إحساسـه، قريبا من القلب، ولذلك أحبه القراء، وانتظر كثيرون قصائده بشكل يومي.. استطاع أن يجعل الكلمة جسـرا بين الشعر والناس.. وبين التراث والجيل الجديد.

لم يكن شـاعرا فقط، بل باحثا ومثقفا حمل هم التراث الشـعبي.. وأسـهم في حفظه وتوثيقه، فكان اسـمه حاضرا في كل مشـروع ثقافي جاد يخـدم البحرين وهويتها.

رحل الجسـد.. لكن أمثال علي عبدالله خليفـة لا يرحلون بالكامـل. يبقون في قصائدهم، وفي ذكريات من عرفوهم، وفي الأثر الذي تركوه.

رحم الله شـاعر الناس.. وسـتبقى كلماته وأشعاره باقية.

حسين صالح

hussainsaleh888@gmail.com

أســتاذي علي عبــدالله خليفة

جلسنا معًا مرارًا نخطّ كلمات الرثاء لزملاء ومثقفين رحلوا عنا، لكن لم يخطـر ببالي يومًا أن يأتي الوقت الـذي أكتب فيه لك أنت كلمات الوداع ومن دونك.

رحلت يا من أعجز عن أن أختصره في وصفٍ أو مسمّى، فقد كنت لـي أبًا ألجأ إليه، وأخًا أتكئ عليه، وصديقًا أفضي له بما في النفس، قبل أن تكون زميلًا في الثقافة والأدب، وشـريكًا في العلم والعمل، ورفيقًا في الحلّ والسفر.

كنت جزءًا أصيلًا من أيامي سـنوات، حيث أصبحت مشاريعك مشاريعي، وأفكاري أفكارك، فأمسينا نحمل ذات الهموم والأحلام.

ولذلك جاء فراقك أكبر من أن تحتويه الكلمات، وأقسـى من أن يُقاس بأي فقد.

سيبقى حضورك حيًّا في ذاكرتي، وفي كل زاويةٍ تفاكرنا عندها، وفي كل شخص عرفناه، وفي كل مشروعٍ تشاركناه، وبذلك ستكون موجودًا في كل مكانٍ حتى الفراغ الذي لمّ نشغله بعد.

سأظل أكتبك،
لأملأ الجزء الذي رحل من روحي معك،

رحمك الله برحمته الواسـعة، وأعان قلبي وعقلي على وحشةٍ تركها رحيلك.

د. معصومة المطاوعة

أب روحي ترك إرثا ثقافيا سيبقى للأجيال

رحيل الشاعر علي عبدالله خليفة يمثل خسارة كبيرة للمشـهد الثقافي البحريني، باعتباره أحد أبرز الرموز الثقافية والأدبية الذين كرّسوا حياتهم لخدمـة الثقافـة الوطنية وتعزيـز مكانة الأدب والشعر، مشيرًا إلى أن الراحل أسهم خلال مسيرته الحافلـة بالعطاء في ترسـيخ الحـراك الثقافي البحريني وإبراز الهوية الوطنية من خلال أعماله الشـعرية ومبادراته الثقافية، كمـا كان من أبرز الداعمين للثقافة الشعبية، مؤمنًا بأهمية الموروث الشـعبي وضـرورة توثيقه وصونـه للأجيال القادمة، وهو ما تجسـد في مشاريعه الرائدة، في مقدمتها مجلة الثقافة الشعبية.

تميز بحضوره الإنسـاني والثقافي الرفيع، وحرصـه على احتضـان الأجيـال الجديدة من المبدعين وتشـجيعهم، حتى أصبح معلمًا وملهماً للعديد مـن الأدباء والشـعراء والباحثين، تاركًا بصمة راسـخة في المشـهد الثقافـي البحريني والخليجي ستظل حاضرة في ذاكرة الأجيال.

تعلم منه الكثيـر على المسـتويين المهني والإنسـاني، ولا سـيما في فن الإدارة والقيادة الثقافية، من خلال العمل معه في مركز عبدالرحمن كانو الثقافي، ومجلة الثقافة الشـعبية للدراسات والبحـوث والنشـر، وجائـزة عيسـى لخدمة الإنسـانية، والمنظمة الدولية للفن الشعبي، إلى جانـب إدارة منصاتـه ومواقعـه الإعلامية منذ تأسيسها.

الراحل لم يكن بالنسبة إليه مجرد مسؤول أو شـخصية ثقافية، بل كان الأب الروحي والمرشد الذي تعلم منه قيم العطـاء والإخلاص والانتماء الصادق للعمـل الثقافي، مؤكدًا أنه لمس من قرب ما كان يتمتع بـه من تواضـع وحكمة ورحابة صدر، وحرص دائم علـى دعم المبادرات الثقافية والمثقفيـن، وإيمان عميق بـدور الثقافة في بناء الإنسـان والمجتمع، فضلًا عن حضـوره الدائم بعطائه وفكره ومسـاندته لكل جهد يسـهم في الارتقاء بالمشهد الثقافي البحريني.

الإرث الثقافي والإنسـاني الـذي تركه علي عبدالله خليفة سيظل مصدر إلهام للأجيال القادمة، وستبقى منجزاته شـاهدة على مسيرة استثنائية حافلة بالعطاء والإبداع والوفاء للثقافة والوطن.

عاصم عبدالحي
المدير الإداري لمركز عبدالرحمن كانو الثقافي